
SÜLEYMA

مشكاة الانوار ومصفاة الاسرار
للغزالي عليه رحمة الباري

737

ثم
الله

من ودائع الدهر الى العبد الجاني
محمد عارف الحلمي ابن ابراهيم
الاسلامبولي عفي عنهما

ثم الي

من مواهب الله الاحد الى عبده الحاج احمد
ابن محمد شريف باش عفي عنهما

هذا
مشكاة الانوار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فايض الانوار وفاتح الابصار وكاشف الاسرار ورافع الاستار والصلوة على محمد
نور الانوار وسيد الابرار وحبيب الجبار وبشير الغفار ونذير القهار وقامع الكفار
وفاضح الفجار وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين الاخيار اما بعد فقد سألتني ايها
الاخ الكريم قيضك الله لطلب السعادة الكبرى ورشحك للعروج الى الذروة العليا وكحل
بنور الحقيقة بصيرتك ونقى عما سوى الحق سريرتك ان ابث اليك اسرار انوار الالهية مقرونة
بما يشير اليه ظواهر آيات المتلوة والاخبار المروية مثل قوله تعالى الله نور السموات والارض
ومعنى تمثيله ذلك بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة مع قوله عم ان لله تعالى سبعون
الف حجاب من نور وظلمة وانه لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادرك بصره ولقد
ارتقيت بسؤالك مرتقى صعبا ينخفض دون اعاليه اعين الناظرين وقرعت بابا مغلقا لا يفتح
الا للعلماء الراسخين ثم ليس كل سر يكشف ويفشى ولا كل حقيقة تعرض وتجلى بل صدور الاحرار قبور
الاسرار ولقد قال بعض العلماء العارفين افشاء سر الربوبية كفر بل قال سيد الاولين والآخرين عليه السلام
ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة بالله (اي اهل الغفلة) ومهما كثر
اهل الاغترار وجب حفظ الاستار على وجوه الاسرار لكني اراك مشروح الصدر لله بالنور منزه
السر عن ظلمات الغرور فلا اشح عليك في هذا الفن بالاشارة الى لوايح ولوامع والرمز الى حقايق
ودقايق فليس الظلم في كف العلم عن اهله باقل منه في بثه الى غير اهله فمن منح الجهال علما اضاعه ومن
منع المستوجبين فقد ظلم فاقنع باشارات مختصرة وتلويحات مزخرفة فان تحقيق القول فيه يستدعي
تمهيد اصول وشرح فصول ليس يتسع الآن له وقتي ولا ينصرف اليه همي وفكري ومفاتيح القلوب
بيد الله تعالى يفتحها اذا شاء كما شاء بما شاء وانما الذي ينفتح في الوقت فصول

الفصل الاول

في بيان ان النور الحق هو الله تعالى وان اسم النور لغيره مجاز محض لا حقيقة له وبيانه بان يعرف معنى النور
بالوضع الاول عند العوام ثم بالوضع الثاني عند الخواص ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص ثم تعرف
درجات الانوار المذكورة المنسوبة الى خواص الخواص وحقايقها لينكشف لك عند ظهور درجاتها
ان الله تعالى هو النور الاعلى الاقصى وعند انكشاف حقايقها انه النور الحق الحقيقي وحده لا شريك له فيه
اما الوضع الاول العامي فالنور يشير الى الظهور والظهور امر اضافي اذ يظهر الشيء لا محالة لانسان
ويبطن عن غيره فيكون ظاهرا بالاضافة وباطنا بالاضافة واضافة ظهوره الى الادراكات لا محالة
واقوى الادراكات واجلاها عند العوام الحواس ومنها حاسة البصر والاشياء بالاضافة الى الحس
البصري ثلثة اقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام المظلمة ومنها ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره

كال

2

كالاجسام المضيئة مثل الكواكب وجمرة النار اذا لم يكن مشتعلة ومنها ما يبصر بنفسه ويبصر به ايضا غيره
كالشمس والقمر والسراج والنيران المشتعلة والنور اسم لهذا القسم الثالث ثم تارة يطلق على ما يفيض
من الاجسام النيرة على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال استنارت الارض ووقع نور الشمس على الارض
ونور السراج على الحايط والثوب وتارة يطلق على نفس هذه الاجسام المشرقة لانها ايضا في انفسها
مستنيرة وعلى الجملة فالنور عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس هذا حده وحقيقته بالوضع الاول
دقيقة لما كان سر النور وروحه هو الظهور للادراك وكان الادراك موقوفا على وجود النور وعلى
وجود العين الباصرة ايضا اذ النور هو الظاهر المظهر وليس شيء من الانوار ظاهرا في حق العميان ولا مظهرا
فقد ساوى الروح الباصر النور الظاهر في كونه ركنا لا بد منه للادراك ثم ترجح عليه في ان الروح الباصرة
هي المدركة وبها الادراك واما النور فليس بمدرك ولا به الادراك بل عنده الادراك فكان اسم النور
بالنور الباصر احق منه بالنور المبصر فاطلقوا اسم النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفاش ان نور عينه
ضعيف وفي الاعمش انه ضعف نور بصره وفي الاعمى انه فقد نور البصر وفي السواد انه يجمع نور البصر ويقويه وان
اهداب الاجفان انما خصها الحكمة الالهية بلون السواد وجعل العين محفوفة بها ليجمع ضوء العين واما البياض
فيفرق ضوء العين ويضعف نوره حتى ان ادامة النظر الى البياض المشرق بل الى نور الشمس يبهر نور
العين ويمحقه كما يمحق الضعيف في جنب القوي فقد عرفت بهذا ان الروح الباصر سمي نورا وانه لم سمي نورا وانه
لم كان اولى بهذا الاسم وهذا هو الوضع الثاني وهو وضع الخواص حقيقة اعلم ان نور بصر العين
موسوم بانواع النقصان فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر
من الاشياء ظاهرها دون باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر اشياء متناهية ولا يبصر
ما لا نهاية له ويغلط كثيرا في ابصاره فيرى الكبير صغيرا والبعيد قريبا والساكن متحركا والمتحرك ساكنا
فهذه سبعة نقايص لا تفارق العين الظاهرة فان كان في الاعين عين منزهة عن هذه النقايص
كلها فليت شعري هل هو اولى باسم النور ام لا واعلم ان في قلب الانسان عينا هذه صفة
كمالها وهي التي يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانساني ودع عنك العبارات
فانها اذا كثرت اوهم عند الضعيف البصيرة كثرة المعاني فنعني به المعنى الذي يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع
وعن البهيمة وعن المجنون واسمه عقلا متابعة للجمهور في الاصطلاح فنقول العقل اولى بان يسمى
نورا من العين الظاهرة لرفعة قدره عن النقايص السبع اما الاول فهو ان العين لا يبصر نفسها والعقل
يدرك نفسه ويدرك غيره ويدرك صفات نفسه اذ يدرك نفسه عالما وقادرا ويدرك علم نفسه
ويدرك علمه بعلم نفسه وعلمه بعلمه بعلم نفسه الى غير نهاية وهذه خاصية لا يتصور لما يدرك بآلة الاجسام
ووراءه سر يطول شرحه والثاني ان العين لا يبصر ما بعد منه وما قرب منه قربا مفرطا والعقل

يستوي عنده القريب والبعيد يعرج في تطريفة الى اعلى السموات رقياً وينزل في لحظة الى تخوم الارضين
هوياً بل اذا حقت الحقايق انكشف انه منزه عن ان يحوم بجنبات قدسه معاني القرب والبعد
الذي يفرض بين الاجسام فانه انموذج من نور الله تع ولا يخلو الانموذج عن محاكاة وان كان لا يرقى
الى ذروة المساواة وهذا ربما نبهك للتفطن لسر قوله تع ان الله تع خلق آدم على صورته فلست
ارى الخوض في ذلك الآن الثالث ان العين لا تدرك ما وراء الحجب والعقل يتصرف في العرش والكرسي
وما وراء حجب السموات وفي الملأ الاعلى والملكوت الاسمى كتصرفه في عالمه الخاص ومملكته القريبة اعني
بدنه الخاص بل الحقايق كلها لا تحتجب عن العقل وانما حجاب العقل حيث يحجب فمن نفسه لنفسه بسبب
صفات هي مقارنة له تضاهي حجاب العين من نفسه عند تغميض الاجفان وستعرف هذا في الفصل الثالث
من الكتاب الرابع ان العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الاعلى دون باطنها بل قوالبها وصورها
دون حقايقها والعقل يتغلغل الى بواطن الاشياء واسرارها ويدرك حقايقها وارواحها ويستنبط
سببها وعلتها وغايتها وحكمتها وانها مم خلق وكيف خلق ولم خلق ومن كم معنى جمع وركب وعلى اي مرتبة في الوجود
نزل وما نسبته الى خالقه وما نسبته الى ساير مخلوقاته الى مباحث اخر يطول شرحها نرى الايجاز فيها اولى
الخامس ان العين تبصر بعض الموجودات اذ تقصر عن جميع المعقولات وعن كثير من المحسوسات اذ
لا تدرك الاصوات والروايح والطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة اعني قوة السمع والبصر والشم
والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور والغم والحزن والالم واللذة والعشق
والشهوة والقدرة والارادة والعلم الى غير ذلك من موجودات لا تحصى ولا تعد فهو ضيق المجال مختصر
المجرى لا تسعه مجاوزة الالوان والاشكال وهما اخس الموجودات فان الاجسام في اصلها اخس
اقسام الموجودات والالوان والاشكال من اخس اعراضها والموجودات كلها مجال العقل اذ يدرك
هذه الموجودات التي عددناها وما لم نعددها وهو الاكثر فيتصرف في جميعها ويحكم عليها حكما يقينيا صادقا
فالاسرار الباطنة عنده ظاهرة والمعاني الخفية عنده جلية فمن اين للعين الظاهرة مساواته ومحاذاته
في استحقاق اسم النور كلا انه نور بالاضافة الى غيره لكنه ظلمة بالاضافة الى العقل بل هو جاسوس من جواسيسه
وكلها باخس خزاينه وهي خزانة الالوان والاشكال ليرفع الى حضرته اخبارها فيقضي فيها بما يقتضيه
رأيه الثاقب وحكمه النافذ والحواس الخمس جواسيسه وله في الباطن جواسيس سواها من خيال ووهم
وفكر وذكر وحفظ ووراءهم خدم وجنود مسخرة له في عالمه الخاص يستسخرهم ويتصرف فيهم استسخار
الملك عبيده بل اشد وشرح ذلك يطول وقد ذكرناه في كتاب عجايب القلب من كتب الاحياء السادس
ان العين لا تبصر ما لا نهاية له فانه تبصر صفات الاجسام والاجسام لا تتصور الا متناهية والعقل
يدرك المعلومات والمعلومات لا يتصور ان يكون متناهية نعم اذا لاحظ العلوم المفصلة فلا يكون

الحاصل عنده الا متناهيا لكن في قوته ادراك ما لا نهاية له وشرح ذلك يطول فان اردت له مثالا
فخذه من الجليات فانه يدرك الاعداد ولا نهاية لها بل يدرك تضعيفات الاثنين والثلاثة وساير
الاعداد ولا يتصور لها نهاية ويدرك انواعا من النسب بين الاعداد ولا يتصور التناهي عليها بل
يدرك علمه بالشيء وعلمه بعلمه بالشيء وعلمه بعلمه بعلمه فقوته في هذا الواحد ايضا لا يقف عند نهاية السابع
ان العين تبصر الكبير صغيرا فترى الشمس في مقدار مجن والكواكب في صور دنانير منثورة على بساط ازرق
والعقل يدرك ان الكواكب والشمس اكبر من الارض اضعافا مضاعفة وترى الكواكب ساكنة بل الظل بين
يديه تراه ساكنا وترى الطفل ساكنا في مقداره والعقل يدرك ان الصبي متحرك في النشو والتزايد
على الدوام والظل متحرك دايما والكواكب تتحرك في كل لحظة اميالا كثيرة كما قال عم لجبريل ازالت الشمس
فقال لا نعم قال كيف قال منذ قلت لا الى ان قلت نعم قد تحركت مسيرة خمسمائة عام وانواع غلط البصر
كثيرة والعقل منزه عنها فان قلت نرى العقلاء يغلطون في نظرهم فاعلم ان فيهم خيالات
واوهاما واعتقادات يظنون احكامها احكام العقل فالغلط منسوب اليها وقد شرحنا مجامعها
في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر فاما العقل اذا تجرد عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور
ان يغلط بل راى الاشياء على ما هي عليها وفي تجريده عسر عظيم وانما يكمل تجرده عن هذه النوازع
بعد الموت وعند ذلك ينكشف الغطاء وتنجلي الاسرار ويصادف كل ما قدم من خير او شر محضرا
ويشاهد كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وعند ذلك يقال فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد وانما الغطاء غطاء الخيال والوهم وغيرها وعنده يقول المغرور بادهامه واعتقاداته
الفاسدة وخيالاته الباطلة ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا الآية فقد عرفت بهذا
ان العين اولى باسم النور من النور المعروف ثم عرفت ان العقل اولى باسم النور من العين بل بينهما
من التفاوت ما يصح معه ان يقال انه اولى بل الحق ان المستحق للاسم دونه دقيقة اعلم
ان العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات كلها عنده على وتيرة واحدة بل بعضها يكون
عنده كانه حاضر كالعلوم الضرورية مثل علمه بان الشيء الواحد لا يكون قديما حادثا ولا يكون
موجودا معدوما والقول الواحد لا يكون صدقا وكذبا والحكم اذا ثبت للشيء جوازه ثبت لمثله
وان الاخص اذا كان موجودا كان الاعم واجب الوجود فاذا وجد السواد فقد وجد اللون
واذا وجد الانسان فقد وجد الحيوان واما عكسه فلا يلزم في العقل اذ لا يلزم من وجود اللون وجود
السواد ولا من وجود الحيوان وجود الانسان الى غير ذلك من القضايا الضرورية في الواجبات

والجايزات والمستحيلات ومنها ما لا يقارن العقل في كل حال اذا عرض عليه بل يحتاج الى ان يهز
اعطافه ويستورى زناده وينبه عليه بالتنبيه كالنظريات وانما ينبه كلام الحكمة فعند اشراق
نور الحكمة يصير العقل مبصرا بالفعل بعد ان كان مبصرا بالقوة واعظم الحكمة كلام الله تعالى ومن جملة
كلامه القران خاصة فيكون منزلة آيات القران عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين
الظاهرة اذ به يتم الابصار فبالحري ان يسمى القران نورا كما يسمى نور الشمس نورا فمثال القران
نور الشمس ومثال العقل نور العين وبهذا يفهم قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا
وقوله تعالى قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا تكملة هذه الدقيقة فقد فهمت من هذا
ان العين عينان ظاهرة وباطنة الظاهرة من عالم الحس والشهادة والباطنة من عالم آخر وهو
عالم الملكوت ولكل عين من العينين شمس ونور عنده يصير كامل الابصار احديهما ظاهرة والاخرى
باطنة والظاهرة من عالم الشهادة وهي الشمس المحسوس والباطنة من عالم الملكوت وهو القران
وكتب الله المنزلة ومهما انكشف لك هذا انكشافا تاما فقد انفتح لك اول باب من ابواب
الملكوت وفي هذا العالم عجايب يستحقر بالاضافة اليها عالم الشهادة ومن لم يسافر الى
هذا العالم وقعد به القصور في حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد محروم عن خاصة الانسانية
بل اضل من البهيمة اذ لم تسعد البهيمة باجنحة الطيران الى هذا العالم ولذلك قال الله تعالى اولئك
كالانعام بل هم اضل سبيلا الآية واعلم ان عالم الشهادة بالاضافة الى عالم الملكوت
كالقشر بالاضافة الى اللب وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى النور
وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى عالم الملكوت العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني
وفي مقابلته السفلي والجسماني والظلماني فلا تظنن انا نعني بالعالم العلوي السموات فانها علو وفوق في حق
عالم الشهادة والحس ويشاركك في ادراكه البهايم واما العبد فلا يفتح له باب الملكوت ولا يصير ملكوتيا
الا ويبدل في حقه الارض غير الارض والسموات فيصير كل داخل تحت الحس والخيال ارضه ومن جملة السموات
وكل ما ارتفع عن الحس فسماؤه وهذا هو المعراج الاول لكل سالك ابتداء سفره الى قرب الحضرة الربوبية
فالانسان مردود الى اسفل سافلين ومنه يترقى الى العالم الاعلى واما الملائكة فانهم من جملة عالم الملكوت
عاكفون في حضرة القدس ومنها يشرفون الى العالم الاسفل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق في ظلمة
ثم افاض عليهم من نوره وقال ان لله ملائكة هو اعلم باعمال الناس منهم والانبياء اذا بلغ معراجهم المبلغ
الاقصى واشرفوا منهم الى السفل ونظروا من فوق الى تحت اطلعوا ايضا على قلوب العباد واشرفوا
منه

على

على جملة من علوم الغيب اذ من كان في عالم الملكوت كان عند الله تعالى وعنده مفاتح الغيب اي من عنده ينزل اسباب
الموجودات في عالم الشهادة وعالم الشهادة اثر من آثار ذلك العالم يجري منه مجرى الظل بالاضافة
الى الشخص ومجرى الثمرة بالاضافة الى المثمر والمسبب بالاضافة الى السبب ومفاتح معرفة المسببات
لا يوجد الا من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم الملكوت كما سياتي في بيان المشكاة
والمصباح والشجرة لان المسبب لا يخلو عن موازاة السبب ومحاكاته نوعا من المحاكاة على قرب او على بعد
وهذا الان له غور عميق ومن اطلع على كنه حقيقته انكشف له حقايق امثلة القران على يسر دقيقة
يرجع الى حقيقة النور فنقول ان كان ما يبصر نفسه وغيره اولى باسم النور فان كان من جملة ما يبصر غيره ايضا
مع انه يبصر نفسه وغيره فهو اولى باسم النور من الذي لا يؤثر في غيره اصلا بل بالحري ان يسمى سراجا منيرا لفيضان
انواره على غيره وهذه الخاصية يوجد للروح القدسي النبوي اذ يفيض بواسطته انواع المعارف على الخلايق
فبهذا تفهم معنى تسمية الله تعالى محمدا صلعم سراجا منيرا والانبياء كلهم سرج وكذلك العلماء ولكن التفاوت
بينهم لا يحصى دقيقة اذا كان اللايق بالذي يستفاد منه انوار الابصار ان يسمى سراجا فالذي يقتبس
منه السراج في نفسه جدير بان يكنى عنه بالنار وهذه السرج الارضية انما يقتبس في اصلها من انوار علوية
والروح القدسي النبوي يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار ولكن انما يصير نورا على نور اذا مسته النار وبالحري
ان يكون مقتبس الارواح الارضية هي الروح الالهية العلوية التي وصفها علي وابن عباس رضي الله عنهما فقالا
ان لله تعالى ملكا له سبعون الف وجه في كل وجه سبعون الف لسان يسبح الله تعالى بجميعها وهو الذي قوبل
بالملائكة كلهم فقيل يوم يقوم الروح والملائكة صفا فهي اذا اعتبرت من حيث يقتبس منها السرج الارضية
لم يكن له مثال الا النار وذلك لا يونس الا من جانب الطور دقيقة الانوار السماوية التي منها
يقتبس الانوار الارضية ان كانت لها ترتيب بحيث يقتبس بعضها من بعض فالاقرب من المنبع الاول
اولى باسم النور لانه اعلى رتبة ومثال ترتيبه في عالم الشهادة لا يدركه الا بان نفرض ضوء القمر داخلا
في كوة بيت واقعا على مرآة منصوبة على حايط ومنعكسا منها الى حايط آخر في مقابلته ثم منعطفا منه
الى الارض بحيث يستنير الارض فانت تعلم ان ما على الارض من النور تابع لما على الحايط وما على الحايط تابع
لما على المرآة وما على المرآة تابع لما في القمر وما في القمر تابع لما في الشمس اذ منها يشرق النور على القمر وهذه الانوار
الاربعة مرتبة بعضها اعلى واكمل من بعض ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا يتعداه فاعلم
انه قد انكشف لارباب البصاير ان الانوار الملكوتية انما وجدت على ترتيب كذلك وان المقرب
هو الاقرب الى الاقصى فلا يبعد ان يكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبرئيل وان فيهم الاقرب لقرب
درجته من حضرة الربوبية التي هي منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهما درجات يستقصى على
الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتيبهم في مقاماتهم وصفوفهم وانهم كما وصفوا به انفسهم اذ قالوا وانا لنحن

الصافون وانا لنحن المسبحون **دقيقة** اذا عرفت ان الانوار لها ترتيب فاعلم انه لا يتسلسل
الى نهاية بل يرتقع الى منبع اول هو النور لذاته وبذاته ليس يأتيه نور من غيره ومنه يشرق الانوار كلها على ترتيبها
فانظر الآن ان اسم النور احق واولى بالمستنير المستعير نوره من غيره او بالنير في ذاته المنير لكل ما سواه فما عندي
انه يخفى عليك الحق فيه وبه يتحقق ان اسم النور احق بالنور الاقصى الاعلى الذي لا نور فوقه ومنه ينزل النور
الى غيره **حقيقة** بل اقول ولا ابالي ان اسم النور على غير النور مجاز محض اذ كل ما سواه اذا اعتبر ذاته
فهو في ذاته من حيث ذاته لا نور له بل نورانيته مستعارة من غيره ولا قوام لنورانيته المستعارة بنفسها
بل بغيرها ونسبة المستعار الى المستعير مجاز محض افترى ان من استعار ثيابا وفرسا ومركبا وسرجا وركبه
في الوقت الذي اركبه المعير وعلى الحد الذي رسمه له غني بالحقيقة او بالمجاز وان المعير هو الغني او المستعير كلا بل المستعير
فقير في نفسه كما كان وانما الغني هو المعير الذي منه الاعارة والاعطاء واليه الاسترداد والانتزاع فاذاً
النور الحق هو الذي بيده الخلق والامر ومنه الانارة اولا والادامة ثانيا فلا شركة لاحد معه في حقيقة
هذا الاسم ولا في استحقاقه الا من حيث تسميته به وتفضل عليه بتسميته تفضل المالك على عبده اذا اعطاه
ما لا ثم سماه مالكا واذا انكشف للعبد الحقيقة علم انه وماله لمالكه على التفرد لا شريك له فيه اصلا البتة **حقيقة**
مهما عرفت ان النور يرجع الى الظهور والاظهار ومراتبه فاعلم انه لا ظلمة اشد من كتم العدم لان المظلم
سمي مظلما لانه ليس يأتي للابصار اذ ليس يصير موجودا للبصر مع انه موجود في نفسه فالذي ليس موجودا
لا لغيره ولا لنفسه كيف لا يستحق ان يكون هو الغاية في الظلمة وفي مقابلته الوجود فهو النور فان الشيء
ما لم يظهر في ذاته لا يظهر لغيره والوجود ينقسم الى ما للشيء في ذاته والى ما له من غيره وما له الوجود من غيره موجود
مستعار لا قوام له بنفسه بل اذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما هو موجود من حيث نسبته
الى غيره وذلك ليس بوجود حقيقي كما عرفت في مثال استعارة الثوب والغنى فالموجود الحق هو الله تعالى
كما ان النور الحق هو الله تعالى **حقيقة الحقايق** من ههنا ترقى العارفون من حضيض المجاز الى يفاع
الحقيقة واستكملوا معراجهم فراوا بالمشاهدة العيانية ان ليس في الوجود الا الله تعالى وان كل شيء هالك
الا وجهه لا انه يصير هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك ازلا وابدا لا يتصور الا كذلك فان كل
شيء سواه اذا اعتبر ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذي يسري اليه الوجود
من الاول الحق رأى موجودا لا في ذاته لكن من الوجه الذي يلي موجده فيكون الموجود وجه الله تعالى فقط
فلكل شيء وجهان وجه الى نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله تعالى موجود فاذا
لا موجود الا الله ووجهه فاذاً كل شيء هالك الا وجهه ازلا وابدا ولم يفتقر هولاء الى قيام القيامة
ليسمعوا نادى البارى تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لا يفارق سمعهم ابدا ولم
يفهموا من معنى قوله الله اكبر انه اكبر من غيره حاش لله اذ ليس في الوجود معه غيره حتى يكون اكبر منه بل ليس

لغيره

مثلا ختكار گويد
همچنانکه قدر تن از جان بود
قدر جان از پرتو رحمان بود

حقيقة الحقايق

نعم ما قيل
وجود کس بين العدم مل عدم
كما ان الظلمة التي تتخلل بين النفسين دم

5

لغيره رتبة المعية بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذي يليه فالموجود وجهه فقط ومحال ان يقال انه
اكبر من وجهه بل معناه انه اكبر من ان يقال له اكبر بمعنى الاضافة والمقايسة او اكبر من ان يدرك غيره كنه كبريائه
نبيا كان او ملكا بل لا يعرف الله كنه معرفته الا الله بل كل معروف فهو داخل تحت سلطنة العارف واستيلائه
دخولا ما وذلك ينافي الجلال والكبرياء وهذا له تحقيق ذكرناه في كتاب المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى
اشارة العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا على انهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق لكن منهم
من كان له هذه الحال عرفانا علميا ومنهم من صار له ذلك حالا ذوقيا وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا
بالفردانية المحضة واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه فلم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ولا لذكر
انفسهم ايضا فلم يكن عندهم الا الله فسكروا سكرا دفع دونه سلطان عقولهم فقال احدهم انا الحق وقال
آخر سبحاني ما اعظم شاني وقال آخر ما في الجبة الا الله وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى
فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في ارضه عرفوا ان ذلك لم يكن
حقيقة الاتحاد بل شبه الاتحاد مثل قول العاشق في حال فرط عشقه انا من اهوى ومن اهوى انا ولا يبعد
ان يفاجئ الانسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرآة قط فيظن ان الصورة التي يراها هي صورة المرآة متحدة بها
ويرى الخمر في الزجاج فيظن ان الخمر لون الزجاج واذا صار عنده مألوفا ورسخ فيه قدمه استغفر وقال
رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر وفرق بين ان يقول
الخمر قدح وبين ان يقول كانه القدح وهذه الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحالة فناء
بل فناء الفناء لانه فني عن نفسه وفني عن فنائه وانه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه
ولو شعر بعدم شعوره بنفسه لكن قد شعر بنفسه وتسمى هذه الحالة بالاضافة الى المستغرق به بلسان
المجاز اتحادا وبلسان الحقيقة توحيدا وورا هذه الحقايق اسرار يطول الخوض فيها **خاتمة**
لعلك تشتهي ان تعرف وجه اضافة نوره الى السموات والارض بل وجه كونه في ذاته نور السموات والارض
ولا ينبغي ان يخفى ذلك عليك بعد ان عرفت انه النور ولا نور سواه وانه كل الانوار وانه النور الكلي
لان النور عبارة عما ينكشف به الاشياء واعلى منه ما ينكشف به وله واعلى منه ما ينكشف به وله
ومنه وان الحقيقي منه ما ينكشف به وله ومنه وليس فوقه نور منه اقتباسه واستمداده بل ذلك له
في ذاته من ذاته لذاته لا من غيره ثم عرفت ان هذا لا يتصف به الا النور الاول ثم عرفت ان
السموات والارض مشحونة نورا من طبقتي النور اعني المنسوب الى البصر والبصيرة اي الى الحس
والعقل اما البصري فما نشاهده في السموات من الكواكب والشمس والقمر وما نشاهده في الارض
من الاشعة المنبسطة على كل ما على الارض حتى ظهرت به الالوان المختلفة خصوصا في الربيع وعلى كل
حال في الحيوانات والمعادن واصناف الموجودات ولولاها لم يكن للالوان ظهور بل وجود

الشيخ العراقي گويد

ثم سائر ما يظهر للحس من الاشكال والمقادير يدرك تبعا للالوان ولا يتصور ادراكها الا بواسطتها واما
الانوار العقلية المعنوية فالعالم الاعلى مشحون بها وهي جواهر الملائكة والعالم الاسفل مشحون بها وهي الحيوة
الحيوانية ثم الانسانية وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام عالم السفل كما بالنور الملكي ظهر نظام عالم العلو
وهي المعنى بقوله تعالى هو الذي انشأكم من الارض واستعمركم فيها وقال ليستخلفنهم في الارض كما استخلف
الذين من قبلهم وقال ويجعلكم خلفاء الارض وقال اني جاعل في الارض خليفة فاذا عرفت هذا عرفت ان
العالم باسره مشحون بالانوار الظاهرة البصرية والباطنة العقلية ثم عرفت ان السفلية فائضة بعضها
من بعض فيضان النور من السراج وان السراج هو الروح النبوي القدسي وان الارواح النبوية القدسية
مقتبسة من الارواح العلوية اقتباس السراج من النار وان العلويات بعضها مقتبسة من البعض
وان بينها ترتيب مقامات ثم ترتقي جملتها الى نور الانوار ومعدنها ومنبعها الاول وان ذلك هو الله تعالى
وحده لا شريك له وان سائر الانوار مستعارة وانما الحقيقي نوره فقط وان الكل نوره بل هو الكل
بل لا هوية لغيره الا بالمجاز فاذا لا نور الا نوره وسائر الانوار انوار من الوجه الذي يليه لا من ذاته فوجه
كل ذي وجه اليه ومولى شطره فاينما تولوا فثم وجه الله فاذن لا اله الا هو فان الاله عبارة عما الوجوه مولية
نحوه بالعبادة والتاله اعني وجوه القلوب فانها الانوار بل كما لا اله الا هو فلا هو الا هو لان هو عبارة
عما اليه اشارة كيف ما كان ولا اشارة الا اليه بل كلما اشرت اليه فهو بالحقيقة اشارة اليه وان كنت
لا تعرفه انت لغفلتك عن حقيقة الحقائق التي ذكرناها ولا اشارة الى نور الشمس بل الى الشمس فكل
ما في الوجود فنسبته اليه في ظاهر المثال كنسبة النور الى الشمس فاذا لا اله الا الله توحيد العوام ولا هو
الا هو توحيد الخواص لان هذا اتم واخص واشمل واحق وادق وادخل بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية
الصرفة ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية فليس وراء ذلك مرقى اذ المرقى لا يتصور الا بكثرة فانه
نوع اضافة يستدعي ما منه الارتقاء وما اليه الارتقاء واذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت
الاضافات وطاحت الاشارات فلم يبق علو وسفل ونازل ومرتفع فاستحال الترقي فاستحال
العروج فليس وراء الاعلى علو ولا مع الوحدة كثرة ولا مع انتفاء الكثرة عروج فان كان من تغير حال
فبالنزول الى السماء الدنيا اعني بالاشراف من علو الى سفل لان الاعلى له اسفل وليس له اعلى فهذه
هي غاية الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره من يجهله وهو من العلم الذي هو كهيئة المكنون
الذي لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة بالله ولا يبعد ان قال بعض العلماء
ان النزول الى السماء الدنيا هو نزول ملك فقد توهم العلماء ما هو ابعد منه اذ قال هذا المستغرق بالفردانية
ايضا له نزول الى السماء الدنيا فان ذلك هو نزوله الى استعمال الحواس او تحريك الاعضاء واليه
الاشارة بقوله صرت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به فاذا كان

هو

6

هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع والباصر والناطق اذن لا غيره واليه الاشارة بقوله مرضت
فلم تعدني الحديث فحركات هذا الموحد من السماء الدنيا واحساسه بالسمع والبصر من سماء فوقه وعقله
فوق ذلك وهو يترقى من سماء العقل الى منتهى معراج الخلائق ومملكة الفردانية تمام سبع طبقات ثم بعده
يستوي على عرش الوحدانية ومنه يدبر الامر لطبقات سمواته فربما نظر الناظر اليه فاطلق القول
بان الله خلق آدم على صورة الرحمن الى ان يمعن النظر فيعلم ان ذلك له تأويل كقول القائل انا الحق
وسبحاني بل كقوله تعالى مرضت فلم تعدني وكنت سمعه وبصره ولسانه الذي واري الآن قبض عنان
البيان فما اراك تطيق من هذا القدر اكثر من هذا القدر مساعدة لعلك لا تسمو الى هذا الكلام همتك
بل يقصر دون ذروته همتك فخذ اليك كلاما اقرب الى فهمك واوفق لضعفك واعلم ان معنى كونه
نور السموات والارض تعرفه بالنسبة الى النور الظاهر البصري فاذا رأيت انوار الربيع وخضرته مثلا
في ضياء النهار فلست تشك في انك ترى الالوان وربما ظننت انك لست ترى مع الالوان غيرها
فانك تقول لست ارى مع الخضرة غير الخضرة ولقد اصر على هذا قوم فزعموا ان النور لا معنى له وانه ليس
مع الالوان غير الالوان فانكروا وجود النور مع انه اظهر الاشياء وكيف لا وبه يظهر الاشياء وهو الذي
يبصر في نفسه ويبصر به غيره كما سبق لكن عند غروب الشمس وغيبة السراج ووقوع الظل ادركوا تفرقة
ضرورية بين محل الظل وبين موقع الضياء فاعترفوا بان النور معنى وراء الالوان يدرك مع الالوان
حتى كانه لشدة اتحاده به لا يدرك ولشدة ظهوره يختفي وقد يكون الظهور سبب الخفاء والشيء
اذا جاوز حده انعكس على ضده فاذا عرفت هذا فاعلم ان ارباب البصائر ما رأوا شيئا
الا رأوا الله معه وربما زاد على هذا بعضهم فقال ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله لان منهم من يرى
الاشياء به ومنهم من يرى الاشياء فيراه بالاشياء والى الاول الاشارة بقوله اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد والى الثاني الاشارة بقوله سنريهم آياتنا في الآفاق فالاول صاحب مشاهدة
والثاني صاحب استدلال باياته والاول درجة الصديقين والثاني درجة العلماء الراسخين
وليس بعدهما الا درجة الغافلين المحجوبين فاذا قد عرفت هذا فاعلم انه كما ظهر كل شيء للبصر بالنور
الظاهر فقد ظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله فهو مع كل شيء لا يفارقه ثم يظهر كل شيء كما ان النور مع كل شيء
وبه يظهر كل شيء ولكن بقي ههنا تفاوت وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب بغروب الشمس ويحجب
حتى يظهر الظل واما النور الالهي الذي به يظهر كل شيء لا يتصور غيبته بل يستحيل تغيره فبقي مع الاشياء
دائما فانقطع طريق الاستدلال بالتفرقة ولو تصور غيبته لانهدت السموات والارض ولادرك به
من التفرقة ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشياء ولكن لما تساوت الاشياء كلها على نمط
واحد في الشهادة على وحدانية خالقها ارتفعت التفرقة وخفي الطريق اذ الطريق الظاهر معرفة

التفضيلات المحققة

وليس الا ايجاد الاظهار اي اظهار العدم
على الممكنات الثابتة في علم الله تعالى
بنور الوجود على ما قال بعض المحققين
في حاشية على البيضاوي

الاشياء بالاضداد فما لا ضد له ولا تغير له بل تشابه الاحوال في الشهادة له فلا يبعد ان يخفى ويكون
خفاؤه لشدة جلاله والغفلة عنه لاشراق ضيائه فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة
ظهوره واحتجب عنهم لاشراق نوره وربما يفهم ايضا كنه هذا الكلام بعض القاصرين ففهم من قولنا
ان الله مع كل شيء كالنور مع الاشياء انه في كل مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المكان بل لعل
الابعد عن اثارة هذا الخيال ان يقول انه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء وانه مظهر كل شيء والمظهر لا يفارق
المظهر في معرفة صاحب البصيرة فهو الذي نعني بقولنا انه مع كل شيء ثم لا يخفى عليك ايضا ان المظهر
قبل المظهر وفوقه مع انه معه بوجه لكنه ليس معه بوجه وقبله بوجه فلا تظنن انه متناقض واعتبر بالمحسوسات
التي هي درجتك في العرفان وانظر كيف يكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبله ايضا ومن لم يتسع
صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم فلكل عمل رجال وكل ميسر لما خلق له

الفصل الثاني في بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت

والنار ومعرفة هذا يستدعي تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى غير حد محدود ولكن اشير اليهما بالرمز
والاختصار احدهما في بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط ارواح المعاني بقوالب الامثلة
ووجه كيفية المناسبة بينهما وكيفية الموازنة بين عالم الشهادة التي منها تتخذ طينة الامثال وعالم الملكوت
التي منه تستنزل ارواح المعاني والثاني في طبقات ارواح الطينة البشرية ومراتب انوارها
فان هذا ~~الانوار~~ المثال مسوق لبيان ذلك اذ قرء ابن مسعود مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة
وقرأ ابي بن كعب مثل نور قلب من آمن كمشكاة القطب الاول في سر التمثيل ومنهاجه فاعلم
ان العالم عالمان روحاني وجسماني وان شئت قلت حسي وعقلي وان شئت علوي وسفلي والكل
متفاوت وانما يختلف باختلاف الاعتبار فاذا اعتبرتهما في انفسهما قلت جسماني وروحاني
وان اعتبرتهما بالاضافة الى العين المدركة لهما قلت حسي وعقلي وان اعتبرتهما باضافة احدهما
الى الآخر قلت علوي وسفلي وربما سميت احدهما عالم الملك والشهادة والآخر عالم الغيب والملكوت
ومن نظر الى الحقايق من الالفاظ ربما تحير عند كثرة الالفاظ وتخيل كثرة المعاني والذي ينكشف له
الحقايق يجعل المعاني اصلا والالفاظ تابعا وامر الضعيف بالعكس اذ يطلب الحقايق من الالفاظ
والى الفريقين الاشارة بقوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم
واذا عرفت معنى العالمين فاعلم ان العالم الملكوتي عالم غيب اذ هو غايب عن الاكثرين والعالم الحسي
عالم الشهادة اذ يشهده الكافة والعالم الحسي مرقاة الى العقلي فلو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة
لانسد طريق الترقي اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الربوبية والقرب من الله تعالى فلم يقرب
من الله احد ما لم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن ادراك الحس والخيال هو الذي نعنيه

بعالم القدس فاذا اعتبرناه جملة من حيث لا يخرج منه شيء ولا يدخل فيه ما هو غريب منه سميناه حظيرة
القدس وربما سمينا الروح البشري الذي هو مجرى لوايح القدس الوادي المقدس ثم هذه الحظيرة
فيها حظاير بعضها اشد امعانا في معاني القدس ولكن لفظ الحظيرة يحيط بجميع طبقاتها ولا تظنن
ان هذه الالفاظ طامات غير معقولة عند ارباب البصاير واشتغالي الآن بشرح كل لفظ مع ذكره
يصدني عن المقصود فعليك التشمر لفهم الالفاظ فارجع الى الغرض واقول لما كان عالم الشهادة
مرقاة الى عالم الملكوت وكان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقي وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل
الهدى فلو لم يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقي من احدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية
عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء في هذا العالم الا وهو مثال شيء من ذلك العالم
وربما كان الشيء الواحد مثالا لاشياء من الملكوت وربما كان للشيء الواحد من الملكوت امثلة
كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ماثله نوعا من المماثلة وطابقه نوعا من المطابقة
واحصاء تلك الامثلة يستدعي استقصاء جميع موجودات العالمين باسرها ولن يفي به القوة
البشرية وما اتسع لفهمه القوة البشرية فلا يفي بشرحه الاعمار القصيرة فغايتي ان اعرفك منها
انموذجات لتستدل باليسير منها على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الاسرار
فاقول ان كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة منها يفيض
الانوار على الارواح البشرية ولاجلها قد تسمى اربابا ويكون الله رب الارباب لذلك
ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة فبالحري ان يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب
والسالك للطريق اولا ينتهي الى ما درجته درجة الكواكب فيتضح له اشراق نوره وينكشف
له ان العالم الاسفل باسره تحت سلطانه وتحت اشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته
ما يبادر فيقول هذا ربي ثم اذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى افول الاول في مغرب الهوى بالاضافة الى ما فوقه
فقال لا احب الآفلين وكذلك يترقى حتى ينتهي الى ما مثاله الشمس فيراه اكبر واعلى فيراه قابلا للمثال بنوع مناسبة
له معه وللمناسبة مع ذي النقص نقص وافول ايضا فمنه يقول وجهت وجهي للذي والمعنى الذي اشارة مبهمة
لا مناسبة لها اذ لو قال قائل ما مثال مفهوم الذي لم يتصور ان يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو الاول الحق
ولذلك لما قال بعض الاعراب لرسول الله صلعم ما نسبة الله نزل في جوابه قل هو الله احد الله الصمد الى آخرها
معناه ان التقدس والتنزه عن النسبة نسبة ولذلك لما قال فرعون لموسى وما رب العالمين كالطالب لماهيته
لم يجب الا بتعريفه بافعاله اذ كانت الافعال اظهر عند السائل فقال رب السموات والارض الآية فقال
فرعون لمن حوله الا تستمعون كالمنكر عليه في عدوله في جوابه عن مطلب الماهية فقال موسى ربكم ورب آبائكم
الاولين فنسبه فرعون الى الجنون اذ كان مطلبه المثال والماهية وهو يجيب عن الافعال فقال ان رسولكم

الذي ارسل الكلم المجنون فلنرجع الى الانموذج فاقول علم التعبير يعرفك منهاج ضرب المثال لان الرؤيا جزء
من النبوة اما ترى ان الشمس في الرؤيا تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة والمماثلة في معنى روحاني
وهو الاستعلاء على الكافة مع فيضان الآثار على الجميع والقمر تعبيره الوزير لافاضة الشمس نوره
بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان انواره بواسطة الوزير على من يغيب
عن حضرة السلطان وان من يرى انه في يده خاتم يختم به افواه الرجال وفروج النساء فتعبيره
انه مؤذن يؤذن قبل الصبح في رمضان وان من يرى انه يصب الزيت في الزيتون فتعبيره ان تحته
جارية هي امه وهو لا يعرف واستقصاء ابواب التعبير يزيدك انسا بهذا الجنس فلا يمكنني الاشتغال
بعدها بل اقول كما ان في الموجودات العالية الروحانية ما مثاله الشمس والقمر والكواكب فكذلك
فيها ما له امثلة اخر اذا اعتبرت منه اوصاف اخر سوى النورانية فان كان في تلك الموجودات
ما هو ثابت لا يتغير وعظيم لا يستصغر ومنه تنفجر الى اودية القلوب البشرية مياه المعارف ونفايس
المكاشفات فمثاله الطور وان كان ثم موجودات تتلقى تلك النفايس بعضها اولى من بعض
فمثالها الوادي وان كانت تلك النفايس بعد اتصالها بالقلوب البشرية تجري من قلب الى قلب
فهذه القلوب ايضا اودية ومفتتح الوادي قلوب الانبياء ثم العلماء ثم من بعدهم فان كانت هذه
الاودية دون الاول ومنها تغترف فبالحري ان يكون الاول هو الوادي الايمن لكثرة يمنه وعلو درجته
فان كان الوادي الادون يتلقى من آخر درجات الوادي الايمن فمعرفته من شاطئ الايمن دون لجته
ومبدائه وان كان روح النبي سراجا وكان ذلك الروح مقتبسا بواسطة وحي كما قال واوحينا
اليك روحا من امرنا فما منه الاقتباس مثاله النار وان كان المتلقفون من الانبياء بعضهم على محض
التقليد لما يسمعه وبعضهم على حظ من البصيرة فمثال حظ المقلد الخبر ومثال حظ المستبصر الجذوة
والقبس والشهاب فان صاحب الذوق مشارك النبي في بعض الاحوال ومثال تلك المشاركة
الاصطلاء وانما يصطلي بالنار من معه النار لا من سمع خبره وان كان اول منزل الانبياء الترقي
الى العالم المقدس عن كدورات الحس والخيال فمثال ذلك المنزل الوادي المقدس وان كان لا يمكن
وطء ذلك الوادي المقدس الا باطراح الكونين اعني الدنيا والآخرة والتوجه الى الواحد الحق ولان الدنيا
والآخرة متقابلتان متحاذيتان وهما عارضان للجوهر النوراني البشري يمكن اطراحهما مرة والتلبس
بهما اخرى فمثال اطراحهما عند الاحرام للتوجه الى كعبة القدس خلع النعلين بل نترقى الى الحضرة الربوبية
مرة اخرى ونقول ان كان في تلك الحضرة شيء بواسطته تنتقش العلوم المفصلة في الجواهر القابلة
لها فمثاله القلم وان كان في تلك الجواهر القابلة ما بعضها سابق الى التلقي ومنها تنتقل الى غيرها فمثالها
اللوح والكتاب المسطور والرق المنشور وان كان فوق الناقش للعلوم شيء هو مسخر له

[illegible]

فمثاله اليد وان كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب ترتيب منظوم فمثاله
الصورة وان كان يوجد للصورة الانسانية نوع ترتيب على هذه المشاكلة فهو على صورة الرحمن
وفرق بين ان يقال على صورة الرحمن وبين ان يقال على صورة الله لان الرحمة الالهية هي التي صورت
الحضرة الالهية بهذه الصورة ثم انعم على آدم فاعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع اصناف ما في العالم
حتى كانه كل ما في العالم او هو نسخة من العالم مختصرة وصورة آدم اعني هذه الصورة مكتوبة بخط الله
تعالى فهذا الخط الالهي الذي ليس برقم حروف اذ يتنزه خطه عن ان يكون رقما وحروفا كما يتنزه كلامه
عن ان يكون صوتا وحرفا وقلمه عن ان يكون خشبا وقصبا ويده عن ان يكون لحما وعظما ولولا هذه الرحمة
لعجز الآدمي عن معرفة ربه اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه فلما كان هذا من آثار الرحمة صار على صورة
الرحمن لا على صورة الله تعالى فان حضرة الالهية غير حضرة الرحمة وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك
امر بالعياذ بجميع هذه الحضرات فقال قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس ولولا هذا المعنى لكان		بالعياذ
قوله ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن غير منظوم لفظا بل كان ينبغي ان يقول على صورته واللفظ
الوارد في الصحيح الرحمن والان تمييز حضرة الملك عن الالهية والربوبية يستدعي شرحا طويلا فلنتجاوز
فيكفيك من الانموذج هذا القدر فان هذا بحر لا ساحل له وان وجدت في نفسك نفورا عن هذه
الامثال فانس قلبك بقوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها وانه كيف ورد في التفسير
ان الماء هو المعرفة والاودية القلوب **خاتمة** واعتذار لا تظنن من هذا الانموذج وطريق
ضرب المثال رخصة مني في رفع الظواهر واعتقادا في ابطالها حتى اقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان
ولم يسمع الخطاب بقوله فاخلع نعليك حاش لله فان ابطال الظواهر رأي الباطنية الذين نظروا
بالعين العوراء الى احد العالمين ولم يعرفوا الموازنة بين العالمين ولم يفهموا وجهه كما ان ابطال
الاسرار مذهب الحشوية فالذي يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع
بينهما كامل ولذلك قال صلعم للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع وربما نقل هذا عن علي رضه موقوفا
عليه بل اقول فهم موسى من الامر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهرا بخلع نعليه وباطنا باطراح
العالمين فهذا هو الاعتبار اي العبور من الشيء الى غيره ومن الظاهر الى السر وفرق بين من يسمع قول
رسول الله صلعم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب فيقتني الكلب في البيت ويقول ليس الظاهر مرادا
بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التي هي من انوار الملائكة اذ الغضب غول
العقل وبين من يمتثل الامر في الظاهر ثم يقول الكلب ليس كلبا لصورته بل لمعناه وهو السبعية والضراوة
فاذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص والبدن واجبا عن صورة الكلبية فبان يجب حفظ بيت
القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن شر الكلبية اولى فانا اجمع بين الظاهر والسر جميعا فهذا

هو الكامل وهو المعنى بقولهم الكامل من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه وكذلك نرى الكامل لا يسمح
بترك حد من حدود الشرع مع كمال البصيرة وهذه مغلطة منها وقع بعض السالكين الى الاباحة
وطى بساط الاحكام ظاهرا حتى انه ربما ترك احدهم الصلوة وزعم انه دايما فى الصلوة بسره وهذا
سوى مغلطة الحمقى من الاباحية الذين مأخذهم ترهات كقول بعضهم ان الله غنى عن عملنا وقول بعضهم
ان الباطن مشحون بالخبائث ليس يمكن تزكيتها ولا مطمع فى استيصال الغضب والشهوة لظنه انه
مامور باستيصالها وهذه حماقات واما ما ذكرناه فهو كبوة جواد وهفوة سالك حسده الشيطان
فدلاه بحبل الغرور وارجع الى حديث النعلين واقول ظاهر خلع النعلين منبه على ترك الكونين
فالمثال فى الظاهر حق واداؤه الى السر الباطن حقيقة واهل هذا التنبيه هم الذين بلغوا درجة
الزجاجة كما سياتى معنى الزجاجة لان الخيال الذى من طينته يتخذ المثال صلب كثيف يحجب الاسرار
ويحول بينك وبين الانوار ولكن اذا صفى حتى صار كالزجاج الصافى صار غير حائل عن الانوار
بل صار مع ذلك مؤديا للانوار بل صار مع ذلك حافظا للانوار عن الانطفاء بعواصف الرياح وسياتيك
قصة الزجاجة فاعلم ان العالم الكثيف الخيالى السفلى صار فى حق الانبياء زجاجة ومشكاة
للانوار ومصفاة للاسرار ومرقاة الى العالم الاعلى وبهذا يعرف ان المثال الظاهر حق ووراءه سر
وقس على هذا النار والطور وغيره دقيقه اذا قال الرسول عم رايت عبد الرحمن بن عوف
يدخل الجنة حبوا فلا تظنن انه لم يشاهده بالبصر كذلك بل راه فى يقظته كما يراه النائم فى نومه وان
كان عبد الرحمن مثلا نائما فى بيت شخصه فان النوم انما اثر فى امثال هذه المشاهدات لقهره سلطان
الحواس عن النور الباطن الالهى فان الحواس شاغلة له وجاذبة اياه الى عالم الحس وصارفة وجهه
عن عالم الغيب والملكوت وبعض الانوار النبوية قد يستعلى ويستولى بحيث لا يستجره الحواس
الى عالمها ولا يشغلها فيشاهد فى اليقظة ما يشاهد غيره فى المنام ولكنه اذا كان فى غاية الكمال
لم يقتصر ادراكه على محض الصورة المبصرة بل عبر منها الى السر فانكشف له ان الايمان جاذب
الى العالم الذى يعبر عنه بالجنة والغنا والثروة جاذب الى الحيوة الحاضرة وهو العالم الاسفل فان كان
الجاذب الى اشتغال الدنيا اقوى او مقاوما للجاذب الاخر صد عن السير الى الجنة وان كان
جاذب الايمان اقوى اورث عسرا او بطاء فى سيره فيكون مثاله من عالم الشهادة الحبو فكذلك
يتجلى له انوار الاسرار من وراء زجاجات الخيال ولذلك لا يقتصر فى حكمه على عبد الرحمن وان
كان ابصاره مقصورا عليه بل يحكم به على كل من قويت بصيرته واستحكم ايمانه وكثرت ثروته كثرة
تزاحم الايمان لكن يقاومه لرجحان قوة الايمان فهذا يعرفك كيفية ابصار الانبياء الصور وكيفية
مشاهدتهم المعانى من وراء الصور والاغلب انه يكون المعنى سابقا الى المشاهدة الباطنة ثم

بشرق

يشرق منها على الروح الخيالى فينطبع الخيال بصورة موازية للمعنى محاكية له وهذا النمط من الوحى فى اليقظة
يفتقر الى التاويل كما انه فى النوم يفتقر الى التعبير والواقع منه فى النوم نسبته الى الخواص النبوية نسبة
الواحد الى ستة واربعين والواقع فى اليقظة نسبته اعظم من ذلك واظن نسبته اليه نسبة الواحد
الى الثلث فان الذى انكشف لنا من الخواص النبوية ينحصر شعبها فى ثلثة اجناس وهذا واحد من تلك
الاجناس القطب الثانى فى بيان مراتب الارواح البشرية النورانية اذ بمعرفتها
يعرف امثلة القران فالاول منها الروح الحساس وهو الذى يتلقى ما يورده الحواس الخمس وكانه
اصل الروح الحيوانى واوله اذ به يصير الحيوان حيوانا وهو موجود للصبى الرضيع الثانى الروح الخيالى
وهو الذى يستثبت ما اورده الحواس ويحفظه مخزونا عنده ليعرضه على الروح العقلى الذى فوقه عند
الحاجة اليه وهذا لا يوجد للصبى الرضيع فى بداية نشوه ولذلك يولع بالشئ لياخذه فاذا غاب عنه
ينساه ولا ينازعه نفسه اليه الى ان يكبر قليلا فيصير بحيث اذا غيب بكى وطلب لبقاء صورته محفوظة
فى خياله وهذا قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض ولا يوجد للفراش المتهافت على النار لانه يقصد
النار لشغفه بضياء النهار فيظن ان السراج كوة مفتوحة الى موضع الضياء فيلقى نفسه عليه فيتاذى به
لكنه اذا جاوزه وحصل فى الظلمة عاوده مرة بعد مرة ولو كان له الروح الحافظ المستثبت لما اداه
الحس اليه من الالم لما عاوده بعد ان تضرر به مرة فالكلب اذا ضرب مرة بخشبة فاذا راى الخشبة بعد ذلك
من بعيد هرب الثالث الروح العقلى الذى به يدرك المعانى الخارجة عن الحس والخيال
وهو الجوهر الانسى الخاص ولا يوجد للبهايم ولا للصبيان ومدركاته المعارف الضرورية الكلية كما
ذكرناه عند ترجيح نور العقل على نور العين الرابع الروح الفكرى وهو الذى ياخذ العلوم العقلية المحضة
فيوقع بينهما تاليفات وازدواجات ويستنتج منها معارف شريفة ثم اذا استفاد نتيجتين الف
بينهما مرة اخرى واستفاد نتيجة اخرى ولا يزال يتزايد كذلك الى غير نهاية الخامس الروح القدسى
النبوى الذى يختص به الانبياء وبعض الاولياء وفيه يتجلى لوايح الغيب واحكام الاخرة وجملة من معارف
ملكوت السموات والارض بل من المعارف الربانية التى يقصر دونها الروح العقلى والفكرى واليه
الاشارة بقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان
ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ولا تستبعد ايها العاكف فى عالم العقل ان يكون وراء
العقل طور اخر يظهر فيه ما لا يظهر فى العقل كما لم يستبعد كون العقل طورا وراء التمييز والاحساس ينكشف
فيه غرايب وعجايب يقصر عنها الاحساس والتمييز ولا تجعل اقصى الكمال وقفا على نفسك وان اردت
مثالا مما نشاهده من جملة خواص بعض البشر فانظر الى ذوق الشعر كيف يختص به قوم من الناس
وهو نوع احساس وادراك ويحرم عنه بعضهم حتى لا يتميز عندهم الالحان الموزونة من المنزحفة وانظر

كيف عظمت قوة الذوق في طائفة حتى استخرجوا بها الموسيقى والاغاني والاوتار وصنوف
الدستانات التي منها المحزن ومنها المطرب ومنها المنوم ومنها المضحك ومنها المجنن ومنها القاتل
ومنها الموجب للغشي وانما تقوى هذه الاثار فيمن له اصل الذوق واما العاطل عن خاصية الذوق
فيشارك البهائم في سماع الصوت وتضعف فيه الاثار وهو يتعجب من صاحب الوجد والغشي ولو اجتمع
العقلاء كلهم من ارباب الذوق على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه فهذا مثال في امر خسيس لكنه
قريب المأخذ فقس به الذوق الخاص النبوي واجتهد ان تصير من اهل الذوق بشيء من ذلك
الروح فان للاولياء منه حظا وافرا فان لم تقدر فاجتهد ان تصير بالاقيسة التي ذكرناها والتنبيهات
التي رمزنا اليها من اهل العلم بها فان لم تقدر فلا اقل من ان تكون من اهل الايمان بها يرفع الله الذين
امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والعلم فوق الايمان والذوق فوق العلم فالذوق وجدان
والعلم قياس والايمان قبول مجرد بالتقليد وحسن ظن باهل الوجدان او باهل العرفان واذا
عرفت هذه الارواح الخمسة فاعلم انها بجملتها انوار اذ بها تظهر اصناف الموجودات والحسي
والخيالي منها وان كان يشارك البهائم في جنسهما لكن الذي للانسان منه نمط اخر اشرف واعلى
وخلق الانسان لاجل غرض اجل واسمى اما الحيوانات فلم يخلق لها الا ليكون آلتها في طلب غذائها وفي
تسخيرها للادمي وانما خلق للادمي ليكون شبكة له يقتنص بها من العالم الاسفل مبادي المعارف الدينية
الشريفة اذ الانسان اذا ادرك بالحس شخصا معينا اقتبس عقله منه معنى عاما مطلقا كما ذكرناه
في مثال ضرب عبد الرحمن بن عوف واذا عرفت هذه الارواح الخمسة فلنرجع الى غرض الامثلة

بيان امثلة هذه الاية اعلم ان القول في موازنة هذه الارواح الخمسة للمشكاة
والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت يمكن تطويله لكن اوجزه واقتصر على التنبيه على طريقه
فاقول اما الروح الحساس فاذا نظرت الى خاصيته وجدت انواره خارجة من ثقب
عدة كالعينين والاذنين والمنخرين وغيرهما فاوفق مثال له من عالم الشهادة المشكاة واما
الروح الخيالي فنجد له خواص ثلاث احدها انه من طينة العالم السفلي الكثيف لان الشيء المتخيل
ذو مقدار وشكل وجهات محصورة مخصوصة وهو على نسبة من المتخيل من قرب او بعد ومن شأن
الكثيف الموصوف باوصاف الاجسام ان يحجب عن الانوار العقلية المحضة التي تتنزه عن الوصف
بالجهات والمقادير والقرب والبعد الثانية ان الخيال في بداية الامر يحتاج اليه حتى يضبط بها
المعارف العقلية فلا تضطرب ولا تتزلزل ولا تنتشر انتشارا يخرج عن الضبط فنعم المعين
المثالات الخيالية للمعارف العقلية وهذه الخواص الثلاثة لا تجد بها في عالم الشهادة بالاضافة الى
الانوار المبصرة الا الزجاجة فانها في الاصل من جوهر كثيف لكن صفي ورقق حتى لا يحجب نور المصباح

الا ان هذا الخيال الكثيف اذا صفي ورقق وهذب وضبط صار موازيا للمعاني العقلية ومؤديا لانوارها وغير حائل عن اشراق نورها منها الثالثة م

بل

15

بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء بالرياح العاصفة والحركات العنيفة فهو اولى مثال له واما الثالث
وهو الروح العقلي الذي به ادراك المعارف الشريفة الالهية فلا يخفى عليك وجه تمثيله بالمصباح وقد عرفت
هذا فيما سبق من بيان معنى كون الانبياء سراجا منيرة واما الرابع وهو الروح الفكري فمن خاصيته انه
يبتدي من اصل واحد ثم يتشعب منه شعبتان ثم من كل شعبة شعبتان وهكذا الى ان يكثر الشعب بالتقسيمات
العقلية ثم يفضي بالاخرة الى نتايج هي ثمراتها ثم تلك الثمرات تعود فتصير بذورا لامثالها اذ يمكن ايضا
تلقيح بعضها بالبعض حتى يتمادى الى ثمرات وراءها كما ذكرناه في كتاب القسطاس المستقيم فبالحري ان يكون
مثاله من هذا العالم الشجرة واذا كانت ثمراتها مادة لتضاعف انوار المعارف وثباتها وبقائها فبالحري
ان لا يمثل بشجرة السفرجل والتفاح والرمان وغيرها بل من جملة ساير الاشجار بالزيتونة خاصة
لان لب ثمرتها هو الزيت الذي هو مادة المصابيح ويختص من ساير الادهان بخاصية زيادة الاشراق
مع قلة الدخان واذا كانت الماشية التي يكثر نسلها والشجرة التي يكثر ثمرتها تسمى مباركة فالذي لا يتناهى
ثمرتها الى حد محدود اولى ان يسمى شجرة مباركة واذا كانت شعب الافكار العقلية المحضة خارجة عن قبول
الاضافة الى الجهات والقرب والبعد فبالحري ان يكون لا شرقية ولا غربية واما الخامس وهو الروح القدسي
النبوي المنسوب الى الاولياء اذا كانت في غاية الشرف والصفا فكانت الروح المفكرة منقسمة الى ما يحتاج
الى تعليم وتنبيه ومدد من خارج حتى يستمر في انواع المعارف وبعضها يكون في شدة الصفاء كانه يتنبه
من نفسه بغير مدد من خارج فبالحري ان يعبر عن الصافي البالغ الاستعداد بانه يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار اذ في الاولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الانبياء وفي الانبياء
من يكاد يستغني عن مدد الملائكة فهذا المثال موافق لهذا القسم واذا كانت هذه الانوار مترتبة بعضها
على بعض فالحسي هو الاول وهو كالتوطئة والتمهيد للخيالي اذ لا يتصور الخيال الا موضوعا بعده والفكري
والعقلي يكونان بعدهما فبالحري ان يكون الزجاجة كالمحل للمصباح فيكون المصباح في زجاجة والزجاجة في مشكوة
واذا كانت هذه كلها انوار بعضها فوق بعض فبالحري ان يكون نور على نور خاتمة هذا المثال
انما يصح لقلب المؤمن او لقلوب الانبياء والاولياء لا لقلوب الكفار فان النور يراد للهداية
فالمصروف عن طريق الهدى باطل وظلمة بل اشد من الظلمة لان الظلمة لا تهدي الى الحق وعقول الكفار
انتكست وكذلك ساير ادراكاتهم وتعاونت على الاضلال في حقهم فمثالهم كرجل في بحر لجي يغشاه
موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض والبحر اللجي هو الدنيا بما فيها من الاخطار
المهلكة والاشغال المؤذية والكدورات المعمية والموج الاول موج الشهوات الداعية الى الصفات
البهيمية والاشتغال باللذات الحسية وقضاء الاوطار الدنيوية حتى انهم يأكلون ويتمتعون
كما تأكل الانعام فبالحري ان يكون هذا الموج مظلما لان حب الشيء يعمي ويصم والموج الثاني موج الصفات

الى الباطل كما لا تهدي م

السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والبغضاء والحقد والحسد والمباهاة والتكاثر والتفاخر
وبالحري ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب في الاكثر
مستول على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عن الشهوات واغفل عن اللذات المشتهاة واما الشهوة
فلا تقاوم الغضب الهايج اصلا واما السحاب فهو الاعتقادات الخبيثة والظنون الكاذبة والخيالات
الفاسدة التي صارت حجابا بين الكافر وبين الايمان ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس القران
والعقل فان خاصية السحاب ان يحجب اشراق نور الشمس واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري
ان يكون ظلمات بعضها فوق بعض واذا كانت هذه الظلمات تحجب عن معرفة الاشياء القريبة
فضلا من البعيدة ولذلك حجب الكفار عن معرفة عجايب احوال رسول الله صلعم مع قرب متناوله
وظهوره بادنى تامل فبالحري ان يعبر عنه بانه لو اخرج يده لم يكد يراها واذا كانت منبع الانوار كلها
من النور الاول الحق كما سبق فبالحري ان يعتقد كل موحد ان من لم يجعل الله له نورا فما له من نور
فيكفيك هذا القدر من اسرار هذه الآية فاقنع به **الفصل الثالث** في معنى قوله صلعم
ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل ما ادرك بصره وفي بعض
الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعين الفا فاقول ان الله تعالى متجل في ذاته لذاته ويكون
الحجاب بالاضافة الى المحجوب لا محالة وان المحجوبين من الخلق ثلثة اقسام منهم من حجب بمجرد الظلمة
ومنهم من حجب بالنور المحض ومنهم من حجب بنور مقرون بظلمة واصناف هذه الاقسام كثيرة اتحقق
كثرتها ويمكنني ان اتكلف حصرها في سبعين لكن لا اثق بما يلوح لي من تحديد وحصر اذ لا ادري انه
المراد بالحديث ام لا اما الحصر في سبعمائة وسبعين الفا فذلك لا يستقل به الا القوة النبوية
مع ان ظاهر ظني ان هذه الاعداد مذكورة للتكثير لا للتحديد وقد جرت العادة بذكر عدد ولا يراد به الحصر
بل التكثير والله اعلم بتحقيق ذلك فذلك خارج عن الوسع وانما الذي يمكنني الآن ان اعرفك
هذه الاقسام وبعض اصناف كل قسم فاقول القسم الاول هم المحجوبون بمحض الظلمة وهي الملاحدة
الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وهم الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة لانهم لم يؤمنوا
بالآخرة اصلا وهولاء صنفان صنف يشوق الى طلب سبب لهذا العالم فاحاله الى الطبع
والطبع عبارة عن صفة مركوزة في الاجسام حالة فيها وهي مظلمة اذ ليس لها معرفة وادراك
ولا خبر لها من نفسها ولا فيما يصدر منها وليس له نور يدرك بالبصر الظاهر ايضا الصنف الثاني
هم الذين شغلوا بانفسهم ولم يتفرغوا لطلب السبب ايضا بل عاشوا عيش البهايم ولذلك قال تعالى
افرايت من اتخذ الهه هواه وقال صلعم الهوى ابغض اله عبد في الارض وهولاء انقسموا فرقا
ففرقة زعمت ان غاية المطلب في الدنيا هي الاوطار ونيل الشهوات وادراك اللذات البهيمية
... الحاجات

من

[margin: ...جوبون من الخلق ...ة اقسام]
[margin: القسم الاول ... المحجوبين]

11

من منكح ومطعم وملبس فهولاء عبيد اللذة يعبدونها ويطلبونها ويعتقدون ان نيلها غاية السعادات
رضوا لانفسهم ان يكونوا بمنزلة البهايم بل اخس فاي ظلمة اشد من ذلك فقد حجب هولاء
بمحض الظلمة وفرقة رأت ان غاية السعادات هي الغلبة والاستيلاء والقتل والفتك
والسبي والاسر وهذا مذهب الاعراب والاكراد وكثير من الحمقاء وهم محجوبون بظلمة الصفات
السبعية لغلبتها عليهم وكون ادراك مقصودها اعظم اللذات وهولاء قنعوا بان يكونوا بمنزلة
السباع بل اخس وفرقة ثالثة رأت ان غاية السعادات كثرة المال واتساع اليسار [margin: الاسباب صح]
لان المال هو آلة قضاء الشهوات كلها وبها يحصل الانسان الاقتدار على قضاء الاوطار فهولاء
همتهم جمع المال واستكثار الضياع والعقار والخيل المسومة والانعام والحرث وكنز الدنانير تحت
الارض فترى الواحد يجتهد طول عمره يركب الاخطار في البوادي والاسفار والبحار ويجمع الاموال ويشح
بها من نفسه فضلا من غيره وهم المرادون بقوله عم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار واي ظلمة اعظم
مما يلتبس على الانسان ان الفضة والذهب حجران لا يراد لاعيانهما وهي اذا لم يقض بها الاوطار
ولم ينفق والحصباء بمثابة وفرقة رابعة ترقت عن جهالة هولاء وتغافلت وزعمت ان اعظم
السعادات في اتساع الجاه والصيت وانتشار الذكر وكثرة الاتباع ونفوذ الامر المطاع فتراهم
لا هم لها الا المراياة وعمارة مطارح ابصار الناظرين حتى ان الواحد قد يجوع في بيته ويتحمل الضر ويصرف
ماله الى ثياب يتجمل بها عند خروجه كيلا ينظر اليه بعين الحقارة واصناف هولاء لا يحصون وكلهم محجوبون
عن الله تعالى بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة ولا معنى في ذكر احاد الفرق بعد وقوع التنبيه على الاجناس
ويدخل في جملة هولاء يقولون بلسانهم لا اله الا الله لكن ربما حملهم على ذلك خوف او استظهار
بالمسلمين وتجمل بهم او استمدادهم من مالهم او لاجل التعصب لنصرة مذهب الاباء فهولاء
اذا لم يحملهم هذه الكلمة على العمل الصالح ولا تخرجهم الكلمة من الظلمات الى النور بل اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات اما من اثرت فيه الكلمة بحيث ساءته سيئته وسرته حسنته فهو
خارج عن محض الظلمة وان كان كثير المعصية **القسم الثاني** طايفة حجبوا بنور مقرون بظلمة
وهم ثلثة اصناف صنف منشأ ظلمتهم من الحس وصنف منشأ ظلمتهم من الخيال وصنف منشأ
ظلمتهم من مقايسات عقلية فاسدة الصنف الاول المحجوبون بالظلمة الحسية وهم طوايف
لا يخلو واحد منهم عن مجاوزة الالتفات الى نفسه وعن التاله والتشوق الى معرفة ربه واول
درجاتهم عبدة الاوثان واخرهم الثنوية وبينهما درجات الطايفة الاولى عبدة الاوثان
علموا على الجملة ان لهم ربا يلزمهم ايثاره على نفوسهم المظلمة واعتقدوا ان ربهم اعز من كل شيء
وانفس من كل نفيس ولكن حجبتهم ظلمة الحس عن ان يجاوزوا العالم المحسوس فاتخذوا من انفس

[margin: القسم الثاني المحجوبين]

الجواهر كالذهب والفضة والياقوت اشخاصا مصورة باحسن الصور فاتخذوها آلهة فهولاء محجوبون
بنور العزة والجمال والعزة والجمال من صفات الله تعالى وانواره ولكنهم الصقوها بالاجسام المحسوسة
وصدهم عن ذلك ظلمة الحس فان الحس ظلمة بالاضافة الى العالم الروحاني العقلي كما سبق الطائفة
الثانية جماعة من اقاصي الترك ليس لهم ملة ولا شريعة ويعتقدون ان لهم ربا وانه اجمل الاشياء
فاذا راوا انسانا في غاية الجمال او شجرا او فرسا او غير ذلك سجدوا له وقالوا انه ربنا فهولاء
محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم ادخل في ملاحظة النور من عبدة الاوثان لانهم يعبدون الجمال
المطلق دون الشخص الخاص فلا يخصصونه بشخص ثم يعبدون الجمال المطبوع لا المصنوع من جهتهم
وبايديهم وطائفة ثالثة قالوا ينبغي ان يكون ربنا نورانيا في ذاته بهيا في صورته ذا سلطان
في نفسه مهيبا في حضرته لا يطاق القرب منه ولكن ينبغي ان يكون محسوسا اذ لا معنى لغير المحسوس
عندهم ثم وجدوا النار بهذه الصفة فعبدوها واتخذوها ربا فهولاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء
وكل ذلك من انوار الله تعالى وطائفة رابعة زعموا ان النار نستولي عليها بالاشعال والاطفاء
فهو تحت تصرفنا فلا يصلح للالهية بل ما يكون بهذه الصفات ثم لا نكون نحن تحت تصرفه ويكون مع ذلك
موصوفا بالعلو والارتفاع ثم كان المشهور فيما بينهم علم النجوم واضافة التاثيرات اليها فمنهم
من عبد الشعرى ومنهم من عبد المشتري الى غير ذلك من الكواكب بحسب ما اعتقدوه في النجوم من كثرة
التاثيرات فهولاء محجوبون بنور العلو والاشراق والاستيلاء وهي من انوار الله تعالى وطائفة
خامسة ساعدت هولاء في الماخذ ولكن قالت لا ينبغي ان يكون ربنا موصوفا بالصغر والكبر
بالاضافة الى الجواهر النورانية بل ينبغي ان يكون اكبرها فعبدوا الشمس وقالوا هي اكبر فهولاء محجوبون
بنور الكبرياء مع بقية الانوار مقرونا بظلمة الحس وطائفة سادسة ترقوا من هولاء
فقالوا النور كله لا ينفرد به الشمس بل لغيرها انوار ولا ينبغي للرب شريك في نورانيته فعبدوا
النور المطلق الجامع لجميع انوار العالم وزعموا انه رب العالم والخيرات كلها منسوبة اليه ثم راوا
في العالم شرورا فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيها له عن الشر فجعلوا بينه وبين الظلمة
منازعة واحالوا العالم الى النور والظلمة وربما سموهما يزدان واهرمن وهم الثنوية فيكفيك هذا القدر
تنبيها على هذا الصنف فهم اكثر من ذلك الصنف الثاني المحجوبون ببعض الانوار مقرونا بظلمة الخيال
وهم الذين جاوزوا الحس واثبتوا وراء المحسوسات امرا لكن لم يمكنهم مجاوزة الخيال فعبدوا
موجودا قاعدا على العرش واخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية باجمعهم ولا يمكنني
شرح مقاماتهم فلا فائدة في التكثير لكن ارفعهم درجة من نفى الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة
المخصوصة بجهة فوق لان الذي لا ينسب الى الجهات ولا يوصف بانه خارج العالم ولا داخله لم يكن عندهم

موجودا

12

موجودا اذ لم يكن متخيلا ولم يدركوا ان اول درجات المعقولات تجاوز النسبة الى الجهات الصنف
الثالث المحجوبون بالانوار الالهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميعا
بصيرا متكلما عالما قادرا مريدا حيا منزها عن الجهات لكن فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة
صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه صوت ككلامنا وربما ترقى بعضهم فقال لا بل هو كحديث انفسنا
بلا صوت ولا حرف وكذلك اذا طولبوا بحقيقة السمع والبصر والحيوة رجعوا الى التشبيه من حيث
المعنى وان انكروها باللفظ اذ لم يدركوا اصلا معاني هذه الاطلاقات في حق الله تعالى وكذلك قالوا
في ارادته انها حادثة مثل ارادتنا وانه طلب وقصد مثل قصدنا وهذه مذاهب مشهورة فلا حاجة الى
تفصيلها فهولاء محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمة المقايسات العقلية فهولاء كلهم اصناف القسم الثاني
الذين حجبوا بنور مقرون بظلمة القسم الثالث هم المحجوبون بمحض الانوار وهم اصناف ولا يمكن
احصاؤهم فاشير الى ثلثة اصناف منهم الاول طائفة عرفوا معاني الصفات تحقيقا وادركوا
ان اطلاق اسم الكلام والارادة والقدرة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثل اطلاقه على البشر فتحاشوا
عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات كما عرف موسى صلوات الله عليه في جواب
قول فرعون وما رب العالمين فقالوا ان الرب المقدس المنزه عن معنى هذه الصفات هو محرك السموات
ومدبرها والصنف الثاني ترقوا من هولاء من حيث ظهر لهم ان في السموات كثرة وان محرك كل سماء خاصة
موجود آخر يسمى ملكا وفيهم كثرة وانما نسبتهم الى الانوار الالهية نسبة الكواكب ثم لاح لهم ان هذه السموات
في ضمن فلك آخر يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة واحدة فالرب هو المحرك للجرم الاقصى المنطوي على
الافلاك كلها اذ الكثرة منفية عنه والصنف الثالث ترقوا من هولاء وقالوا ان تحريك الاجسام
بطريق المباشرة ينبغي ان يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عباده يسمى
ملكا نسبته الى الانوار الالهية المحضة نسبة القمر في الانوار المحسوسة فزعموا ان الرب تعالى هو المطاع
من جهة هذا المحرك ويكون الرب محركا للكل بطريق الامر لا بطريق المباشرة ثم في تفهيم ذلك الامر وماهيته
غموض يقصر عنه اكثر الافهام ولا يحتمله هذا الكتاب فهولاء الاصناف كلهم محجوبون بالانوار المحضة وانما
الواصلون صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع ايضا موصوف بصفة تنافي الوحدانية المحضة والكمال
البالغ لسر لا يحتمل الكتاب كشفه وان نسبة هذا المطاع نسبة الشمس في الانوار فتوجهوا من الذي
يحرك السموات ومن الذي امر بتحريكها الى الذي فطر السموات وفطر الآمر بتحريكها فوصلوا الى موجود
منزه عن كل ما ادركه بصر من تخيله فاحرقت سبحات وجهه الاول الاعلى جميع ما ادركه بصر
الناظرين وبصيرتهم اذ وجدوه مقدسا منزها من جميع ما وصفناه من قبل ثم هولاء انقسموا
فمنهم من احرق منه جميع ما ادركه بصره وانمحق وتلاشى لكن بقي هو ملاحظا للجمال والقدس وملاحظا

وهم الحكماء الطبيعيون والالهيون

فهو صاحب مرتبة توحيد الصفات

ذاته في جماله الذي ناله بالوصول الى الحضرة الالهية فانمحقت منه المبصرات دون المبصر وجاوز
هولاء طايفة هم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال
فانمحقوا وتلاشوا في ذاتهم فلم يبق لهم لحاظ الى انفسهم لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد
الحق وصار معنى قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه لهم ذوقا وحالا وقد اشرنا الى ذلك في الفصل
الاول وذكرنا انه كيف اطلقوا الاتحاد وكيف ظنوه فهذه نهاية الواصلين ومنهم من لم يتدرج
في الترقي والعروج على التفصيل الذي ذكرناه ولم يطل عليهم الطريق فسبقوا في اول وهلة الى معرفة
القدس وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهه عنه فغلب عليهم اولا ما غلب على الآخرين آخرا وهجم
عليهم التجلي دفعة فاحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن ان يدركه بصر حسي وبصيرة عقلية ويشبه
ان يكون الاول طريق الخليل والثاني طريق الحبيب صلوات الله عليهم اجمعين والله اعلم باسرار
اقدامهما وانوار مقامهما فهذه اشارة الى اصناف من المحجوبين ولا يبعد ان يبلغ عددهم اذا
فصلت المقالات وتتبع حجب السالكين سبعين الفا ولكن اذا فتشت لا تجد واحدا
منها خارجا عن الاقسام التي حصرناها فانهم يحجبون بصفاتهم البشرية او بالحس او بالخيال او بما
او بمقايسة العقل او بالنور المحض كما سبق فهذا ما حضرني في الوقت في جواب هذه الاسولة
مع ان السؤال صادفني والفكر منقسم والخاطر متشعث والهم الى غير هذا الفن منصرف ومقترحي
عليه ان يسأل الله تعالى العفو عما طغى به القلم او زلت به القدم فان خوض غمرة الاسرار الالهية
خطير واستكشاف الانوار الالهية من وراء الحجب البشرية عسير غير يسير والله الموفق
للصواب واليه المرجع والمآل تم الكتاب

فاعلم ان كل من يدعي حالا وهو لم يكن على الكتاب والسنة واجماع الامة فهو مدع مفتون لان مدعي
التصوف طوائف بعضهم وجوديون يقولون ان الحق كالكلي الطبيعي لا تحقق له ولا تعين في ذاته
الا في المكونات فهم قد جحدوا قول الله تعالى الله خالق كل شيء فاعبدوه وقول النبي صلى الله عليه وسلم
كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق وبعضهم حلوليون يقولون ان الحق حال
في اشباحنا حلول ظرف وفي ارواحنا حلول سريان وبعضهم اتحاديون ملحدون يقولون
نحن متحدون مع الله وذاته لا ينفك عنا وبعضهم محققون يقولون ان الحق ذو وجود في ذاته
متعين قبل كائناته عالم بذاته وبما يظهر من مخلوقاته على مقتضى ذاته وصفاته فاظهر بفيض جوده
النوري الموجودات الظلية وعلمه لا ينفك عنها فهم على الحق لان الله تعالى قال قد احاط بكل شيء
علما وقال تعالى والله بكل شيء عليم

من رسالة الشيخ شمس الدين الفناري رحمه الله تعالى رحمة واسعة